

تنبيه: توجد بعض صفحات ما حملتها ، أو بعض الكلمات في بعض الصفحات من

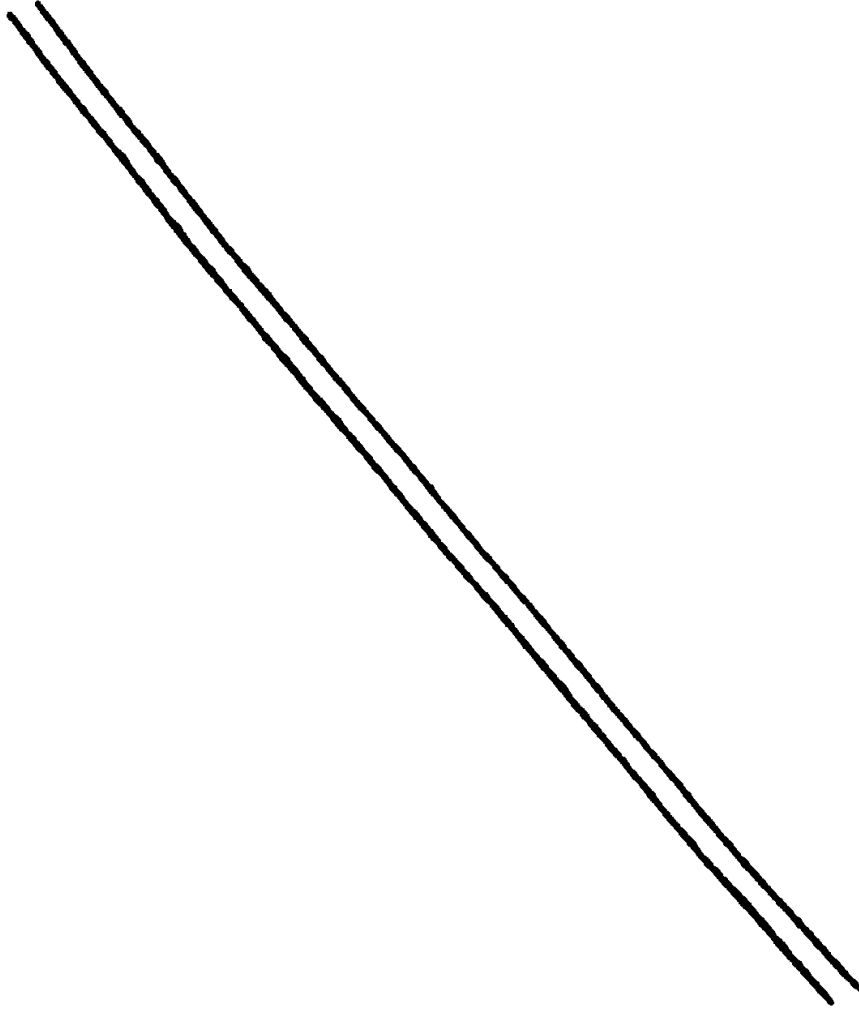
الملفات غير واضحة حيث تعوق القراءة نتيجةً لقدم الكتاب نفسه وليس بسبب

التصوير، فقد قمنا بتصحيح الخلل والمعوقات بقدر ما استطعنا

<http://nidaulhind.blogspot.in> موقعكم نداء الهند

ثقافتنا

مجلة علمية ثقافية



المجلد التاسع عشر

العدد الاول

يناير ١٩٦٨

محتويات العدد

الصفحة

٢٧ الدكتور حادط علام مصطفى تعريب: للاستاذ أ م ك منصورى	؛ ابو عطاء العمدى
----	---	-------------------

ابوعطاء السندی

(شاعر سندی متعرب في القرن الثامن للميلاد)

الدكتور حافظ همام

ابوعطاء السندی علی ما اقتضت هذه النسبة في قسما كان منحدرًا من سلالة سندية؛ هو معدود في شعراء العصر الاموي ولعل معظم مشاهير الكتاب في تاريخ الادب العربي وفي التراجم والطبقات فهو اياه في مؤلفاتهم وان نجح مساهم قليلًا جدا فيما حدثونا عن حياة هذا الشاعر وآثاره. نما وترعرع ابوعطاء فيما يظهر في اثناء السنوات الاخيرة للدولة الاموية ولقد عاش بعد ان استحكمت الدولة العباسية نحو خمس وعشرين سنة تماما وانكسبه في اثناء تلك المدة لا يعرف شي يدل على ميادين نشاطه بيد انه قضى حياته في عزلة الى ان مات حوالي سنة خمس وسبعين وسبعمئة للميلاد.

كانت الثروة الشعرية لابي عطاء فيما يجب غنية ضخمة فقد كان شديد الولع بالشعر مع ما أتيج له من مقدرة واسعة على فرض الشعر ولكن لسوء الحظ اتصل با اليوم من قريضة قسم يسير جدا. فليس ديوان شعر فيما انتقل اليها من التراث العربي القديم وذلك لاحد السنين فلما انه لم يتفق لاي واحد من الرواة المفرمين بمخضري الدولتين ان شعره في تاليف خاص واما اندثر هذا الديوان تماما فلا يرجح بعد ان البنا الفلك الدوار. ولكن هنالك كتب عديدة تحتوي أشتاتا من وشوارد ابياته، غير ان اصحابها بوجه العموم يتقلون عن القديعة مادة فيكروون قلبها ومن هنا لا يكاد يوجد في الكتب

بعض طريفاتها

ألا أبلغ ههنا أبا دلالة ليس من الشعر

إذا لبس العمامة كان قردا وخنزيرا إذا وضع العمامة

كان الغرض الذي استهدفه السيد بلوج ان يوصى من شعراء ما تبدو في شق الكتب ومن هنا لم يصعد للبحث عن حياة الشاعر وقيمة شعره بيان حقيق بالاعتبار - وما يتوضح ان على أساس هذه القليلة لا يمكن لنا ان ندلى اليكم بتحليل كلامه المنظوم بمزيد الاقادة والتفصيل كما لا يمكن ان تقدم امام العيون صورة كاملة لحياة الشاعر بالاستناد الى عدة حوادث فقط ومهما كان فاذا انعمنا النظر في الشئون العامة للحركات الاجتماعية والسياسية والادبية في عصره لما كان مستحيلا ان نستنتج حق من هذه البضاعة القليلة جدا بعض نتائج هامة وشيئا ذا بال .

هذا المقال ، ارجو من القراء انهم يعتبرونه فقط مجهودا متواضعا بالنظر الى نفس الاتجاه الآنف الذكر وليس من الممكن ان تقوم في هذا الصدد بدراسة واسعة مسهبة وكيمما كان فانما يهمني ان نوضح في هذا الخصوص بعض نقاط هامة وقارة .

كان اسم ابي عطاء بحسب بعض الروايات «أفلع» على ان البحر الاخرى تسميه «مرزوقا» وانما سمي ابوه «يسارا» فيما اجمعوا على ذلك .

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٧ (ترجمة ابن خلكان)

القاهرة، ١٩٤٨ .

(٢) الاصبهانى، كتب الاغانى ج ١٧ ص ٢٤٥ .

(٣) ابن قتيبة، المعجم والشعراء ص ٢٤٧ .

قائمة المصادر - يناير ١٩٦٥

وعلاوة على ذلك استلظما ان تعرف بمراجعة المصادر الاصلية ان
اباطة ثرى وتهدب بالكثرة ولكن فى أى زمان ومكان ولد؟ ولماذا قدم
الكثرة وكيف اتقل اليها؟ هذه الامور كلها لا ترال غير معلومة تماما وان
كان بعض المراجع المتأخرة تدل على ان الكثرة نفسها مستط رأسه ولكن
هذا الخبر غير جدير ان نعد به او يركن اليه لان المصادر الاصلية التى احلنا
عليها لا تذكر شيئا يتاربه . هذا الخبر - حده الباحث - طوراً فى تاريخ
الادب العربى لبروكلان الالماني . لكن لايمان له ان يقتصر اثر شى
بضامى هذا الخبر فى المراجع المذكور . هناك

وفى هذا الخصوص يعنى ك ن . فى نظرة خاطفة على تاريخ
الصلات الوثيقة فى ذلك العصر بين لغة صداد . هين ودين النظر السدى .

ان العلاقات التجارية بين العرب والسند فيما يبدو ظهرت على
سرح الوجود منذ عهد عميد دينا . والعرب البحر من ادلاح فجر الاسلام
بحقبة طويلة كانوا يرسون بعض المواين فى بلو حسان والسند باثنام اسفارهم
البحرية على طول سواحل البحر العربى . كانوا اوقت ما يتيمون بهذه البلاد
السندية ويتعاطون التجارة بمساعدة اهالى السند المواطنين . وكذلك هذا الامر
بعد معقولا انه امك لبعض الاشخاص المتحمسين الاشداء او الاسرات
السندية ان يزور او ترور فى وقت من الاوقات العراق او بلاد العرب
ثم امك لهذا الطارئ ان يتخذها مستوطنا دينا

(١) بروكلان . تاريخ الادب العربى ح ١ ص ٦٣ (بالالمانية) .

(٢) ابو حنيفة الديورى . الاحبار الطوال . ص ٣٢٦ ، لايندن

١٩١١ : البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٣٦٧ ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

توضيح

وقضلا عن ذلك فكانت هناك مناقش أخرى أساسية أيضا للمواصلة المتبادله فيما بين الشعبين فان ملوك الفرس منذ حين الى حين بسطوا أيديهم الى بعض النواحي السندية واستولوا عليها وحشدوا جحافلهم الجرارة رجالا مغايرين من طوائف السد الضاربة بسفك السماء كطائفتي الزط والميد وبعض هؤلاء المحاربين ربما انتهزوا الفرصة للتحويل الى بلاد العراق والعرب ثم انهم القوا بها عصا التسيار فيما بعد .

يحذر بنا ان نتنبه الى بعض الشواهد انما ورد في الحديث ان عبد الله بن مسعود ذات مرة رأى مع النبي الكريم عليه افضل الصلوات والتسليم اشخاصا يمتازون بما لهم من هيته خاصة وقد وضعهم عبد الله بانهم تراقوا له كرجال الزط . وذكر البخارى بسنده ان عائشة ام المؤمنين اشتكت مرة فاستحضر ابن احمنا طبيبا زطيا ليداويها - وجاء فيما روى الطبرى في تاريخه ان على بن ابي طالب رضى الله عنه لما تولى الخلافة استخدم لادارة بيت المال بالبصرة رجالا من الزط .

بالنظر الى الامور الآتفة الذكر ربما لا يعد مخالفا للعقل ان نقول، ولو بالحس، ان بعض السنديين هاجروا الى العراق والقطر العربى حتى

(١) البلاذرى، المرجع السابق - ٣٦٨؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف ٣٢٥، غوتجن ١٨٥٠ م؛ جج نامه، ١٦ ط . دلهى ١٩٣٩ .

(٢) الترمذى الجامع ص ٤٦٥ ليكنائو ١٨٧٦ (ابواب الامثال) .

(٣) البخارى، الادب المفرد ٥١ القاهرة ١٣٧٥ (باب بيع الخادم) .

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ... ج ٥ ص ١٧٨ ط . الحسينية

القاهرة، البلاذرى، فوج البلدان، ٣٦٩ .

قبل ان يتلج النور الساطع للإسلام او على الاقل بعيد الاسلام في وقت
بكر جدا .

أما جهود صاحبنا انى عطاء . فلا يحسب انهم خرجوا من السند في
هذه الايام المبكرة ولكن يهسا تقرب هذه المرحلة ان نذكر نقاطا عديدة
ما يتعلق بهنا الشاعر العربي لغة والسدى حرثومة ولاد من الانتباه لها :

نقول بادئى دى سد . ان انا عطاء . تكلم دائما بلهجة عمودجية لاهل
السند ومن هنا لم يقدرة قط على ان يطق محروف عربية مخصوصة على وجه
الضبط الصحيح فكان مثلا كلما تكلم بالعربية تلمط بالرأى عن الحميم وبالسين
عن الشين المعجمة وهلم حرا . لاعرو ان هذا المقص المطلقى كان فيما يبدو
امرا طبيعيا رى به كل سدى الحاد على العال فقد ذكروا كذلك عن
ابى معمر نجيج بن عبد الرحمن - وهو محدث شمير سدى الاصل معاصر
لابى عطاء - أنه كان يطق بالعربية نطقا معلوطا فيه فكان مثلا اذا قال :
حدثنا محمد بن كعب . نطق بالقاف عن الكاف وهكذا كان الامر مع
مكحول الشامى وكان مواطبا ايضا لابي عطاء . واكرم منه فى الس .

لعل هذه الامور المتقدمة تنكس للإشارة الى ان صاحبنا امضى زمن
الطفولية فى البيته السديّة والتحق بالمناطقين بالصاد بعد ان اتقن لغة
موطنه الاوّل بالصبط والدقة وبهذا الخصوص . ويسعى لما ان نضع نصب
حيوننا انه اوّل وقبل كل شى كان عدا مملوكا وقبل ان يتحرر تملك رقبته
فهر واحد من الموالى واحدا بعد آخر . وصلا عن ذلك فانه كان مطبوعا

(١) ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٧ . بيروت ١٩٥٧ (السند) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيار ج ٤ ص ٣٦٨ .

ابو عطاء

على شجاعة جبيلة حتى أنه ساء مساهمة الجد والنشاط في الحروب
بين الاموية والمسودة العباسية .

في ضوء هاتيك الاعتبارات امكنا ان نحرز بانه عند ما بدأت
السند تفتح على يد القائد الشهير محمد بن القاسم الثقفي فرما اتفق في اثنا
ذلك ان سيق ابو عطاء الى الكوفة في ضمن اسارى الحرب الذين جلبوا
إليها واطله كان اذ داك غلاما لم يتجاوز العاشرة - وبناء على هذا التقديم
يمكن ان نقدر سه تماما نحو خمس وسبعين سنة وذلك ما لا يرفضه العقل
ومهما يكن فانما استوى ابو عطاء حظه من الشقيف والتأديب
بالكوفة بين طهراني العرب الى ان تأتى له عن ذاك جودة السليقا
وبهاية المعرفة باساليب اللغة العربية وآدابها لا حرم انه اتصف من جها
القطرة بقوة العارضة في نظم القريض وساء على ذلك نجاح في تسمية
تلك الملكة المودعة فيه في وقت غير طويل حتى اخذ يقرض من الشعر باللغة
العربية ما اكسه الدسائع المتوافرة والجوائز المتكاثرة

وعد ذلك وقع ابو عطاء فعلا في صغطة وارتابك فيقال انه لما
حاز أموالا جمة كجائزة على قصائده الى ان غى وقتى هناك ادعى عنبر
بن سماك احد مواليه انه لا يرال قما لابن سماك هذا وعندئذ ضاقت
الارض على صاحبنا بما رحمت ، واحيرا اشار عليه اعوانه المرافقون ان
يتصالح مع ابن سماك على شروط يرتضيان بها فصنع ابو عطاء كذلك ووقعت
المكاتبة بينهما على ان يؤدي ابو عطاء اربعة آلاف درهما الى عنبر بن

(١) الاصبهاني ، كتاب الاغانى ج ١٧ ص ٢٤٥-٢٤٨ بيروت ١٩٥٩ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ٤٢٠ .

سماك شعور رقته رسميا - ثم ان حلاله لم يألوا جهدا في جمع هذا المبلغ
للختم ولكن ابا صطاء لم يرض بذلك فارتحل مستقيما الى حر بن عبد الله
القرشي ومدحه بقصيدة زهراء. ولعله على هذه التصيدة اصاب من الممدوح
مالا بقدر ذاك المبلغ الخطير فادى المال الى عسر وتحرر حسب الرسوم
والنظامات.

والآن انه نظم مدهطورة يهجو بها عسر بن سماك. ولحسن الحظ
انقصر اليها من هذه المدهطورة عدة بيت تمن امامنا المودحا وصعا للشعر
العربي وهي حقيقة ان تلى عليكم وبجاءيل.

ادا ما كنت متحدا حبيلا ولا تنان دكل احى احاء
وان حيرت نسبهما فصور داهن العقل م م الحياء
فان العقل ليس له ادا م تذكرت المص من السماء
وان النوك للاحمات سول له تدرى الى داه عياء
فلا تفن من النوكى شقى ولو كبرا بن ماء السماء
كغبر الوثيق داه بيت ولكن عدله مثل الهاء
وليس بقائل ادا فدسه وكر منه تمتطع الرحاء

ولعل صاحبا في اثناء هذه الايام احسن نحد واهتمام انه لا يسلم
من الخطأ في الطاق بحروف معينة يمر بها لدى تسميعه وشاده التصائد

(١) الاغانى، ح ١٧ ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) لهذه الايات وما يتلوها وبما بعد مع بيان الماسبات راجع

مقال ج ١٧ ص ٢٤٥-٢٥٧: مجلة الثقافة الاسلامية (الدكسية) ج ١٨

٢٤٥-٢٥٧، أيضا ج ٢٣ ص ١٣٦-١٥٠ يوليو ١٩٤٩ م

ابو عطاء الشعر

وبسبب ذلك لا يفهم الناس كلامه تماما بل ويضحكون عليه ويهزأون به ،
هذا من جهة وأما من جهة أخرى فكان ابو عطاء شديد الولوج بالشعر
طبعاً فما استطاعت هذه العراقيل على كثرتها ان تكبس على غطامط نزعة
الشعرية ثم انه لم يكن قاططاً حائر النفس قط فإزال يفكر في اختيار خطة
تساعده على مجاوزة ذلك الحاجز فصمم على اتخاذ رواية فصيح اللسان
يصحبه ويشد دوائع قصيدة وبتصد ذلك نظم ابو عطاء قصيدة مدح بها
سليمان بن سليم وهي قصيدة سلسلة سائغة وليكنها في الوقت نفسه عميقة
التأثير نهائياً ومليئة بالتحريك العاطفية ولا بأس بأن نمرهنا بآيات عديدة
مها فدودكم ما تقول

اعوزتى الرواة يا ابن سليم وأنى ان يتم شعري لسانى
وعلى نالدى احمم صدرى وحماى بعمتى سلطانى
وازدرتى العيون اد كان لوني حالكا مجتوى من الالوان
فصربت الامور طهر البطن كيف احتال حيلة للسانى
وتميت انى كبت والشعر فصيحاً وبان بعض بنانى

بعد هذا التمهيد العاطفى الذى لا بد ان يتغلغل فى قلب كل رجل
مرهف الشعور، تقدم الشاعر الى ان يعرض حاجياته الماسة على الممدوح
بأروق اسلوب وانما طلب منه غلاماً طلاق اللسان يتدر على انشاد القصائد
بطلاقة وذلاقة وعندئذ اعطاه الممدوح قتي حدثاً مصتماً وهو ذاك الفقى
الذى سماه صاحبنا «عطاء»، وتبناه ومن هنا اصبح يعرف بكنية أبى عطاء،
ومنذ الآن فصاعداً خدمه هذا الفقى عطاء، كالراوية له فكان ابو عطاء كما
اراد ان يتشد شيئاً من قصيدة فى بعض الحفلات ظل هو ساكناً بنفسه
وتقدم رايته عطاء قائداً القصيدة بالنيابة عن مولاه .

شكة وهل ذلك يبدو انه كيف احسن ابو عطاء بنوع قرابة سلالية منه
لورداد على الارجح في توثيق علاقات حارة مع اسرة ابن هيرة الى ان
وجد نفسه في بلاطه كما انه كان بين ظهرائى عشيرته . وان هيرة هذا
كان بلا امترام من رؤس شيعة بنى امية و ككار اصدار البيت الاموى . ومن
هنا لم يستطع ابو عطاء ايضا الا ان يتخرب للاموية طمعا . وما كان ابو عطاء
فصر الامويين وانتصر لهم بسوغه في الشعر فقط ولكنه في الواقع حارب
هنهم وربما اتفق في اثناء بعض هذه المحاربات ان انا عطاء وحده خلف
رجل من بنى مرة اسمه ابو يزيد وكان هو ايضا مع ابى عطاء في الصف
فبينما يقتتلان عثر فرس ابى يزيد في معصمة القتال فالتفت هو الى ابى عطاء
قال له : اعطى فرسك حتى ادود عك وعن نفسى معاً والا هلكنا جميعاً
هنالك فرل ابو عطاء عن فرسه وقدمها الى ابى يزيد المرى الذى ما ان
يكها الا انماط وحده تاركاً انا عطاء خلفه محمولاً عديم الخيلة

حول هذه الحادثة قال ابو عطاء قصيدة فيما بعد ولا تزال عدة ابيات
منها توجد الآن، وحسبنا انها ان نقل البيت التالى فقط الذى يطوى على
حكمة سامية :-

رأيت خيلة طمعت فيها . في الطمع المدلة للسرقات

ويضاف الى ذلك ان انا عطاء نصح ايضاً للحمهور ان يظاهروا بنى
امية ولا يخالفوم .

وفي عصر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية قويت شوكة الخوارج
على قيادة ضحاك الخارجى بحيث انهم استولوا فعلا على الكوفة وكان

لربطه العبد

عن تبع الخارجي هذا عبيد الله بن عباس الكندي الذي قتل أخوه من قبله
على يد ضحاك الخارجي هذا، ومن ثم قال صاحبنا لعبيد الله بمرح في
مشر الآفة:

قل لعبيد الله لو كان جعسر هو الحى لم يمنح وانت قتيل
ولم يتبع المراق والثأر فيهم وفي كفه عضب الذباب صقيل
الى معشر اردوا اخاك واكفروا اباك فاذا بعد ذلك تقول
ومهما يكن فالمجموعة الباقية من شعره تحتوى ايضا على قطعة قالها
في هجاء بني امية والظاهر انه لما سدت عليه الابواب كلها باقراض الدولة
الاموية لم يبق احد يكلمه صامتا عماشه ومسحها بمرامه ولعله في هذه الفترة
قامى ايضا ضيق اليد فاضطر للخروج من الظروف القاسية الى البلاط
العباسى وبناء على ذلك ورد عنه ان العباسية لما استولت على الخلافة فانه
نظم قصيدة في مدحهم وكان هذا المديح غير تام طبعاً مالم يكن مقروفاً بهجاء
اعداء الأسرة العباسية (أى بنى امية خاصة) ولذلك هجاء ابو عطاء بنى امية بعد
ان كانوا معضدين له نوع خاص ولعله هجاء كرها واضطراراً ثم أنه قدم
الى الخليفة العباسى ما قال في مديحه غير ان اتصاله الوثيق بنى امية كان
اشهر من دار على علم فزال احلاصه لى امية امرا مشوها ولم يؤذن له
بالدخول على الخليفة فى البلاط .

عندئذ، فيما يبدو، تراجع ابو عطاء وقال في هجاء بنى العباس مقاطع
عديدة والبيت التالى بقية من بعض هذه الأهاجى:

طبت جور بنى مروان عاد لما وليت عدل بنى العباس فى النار

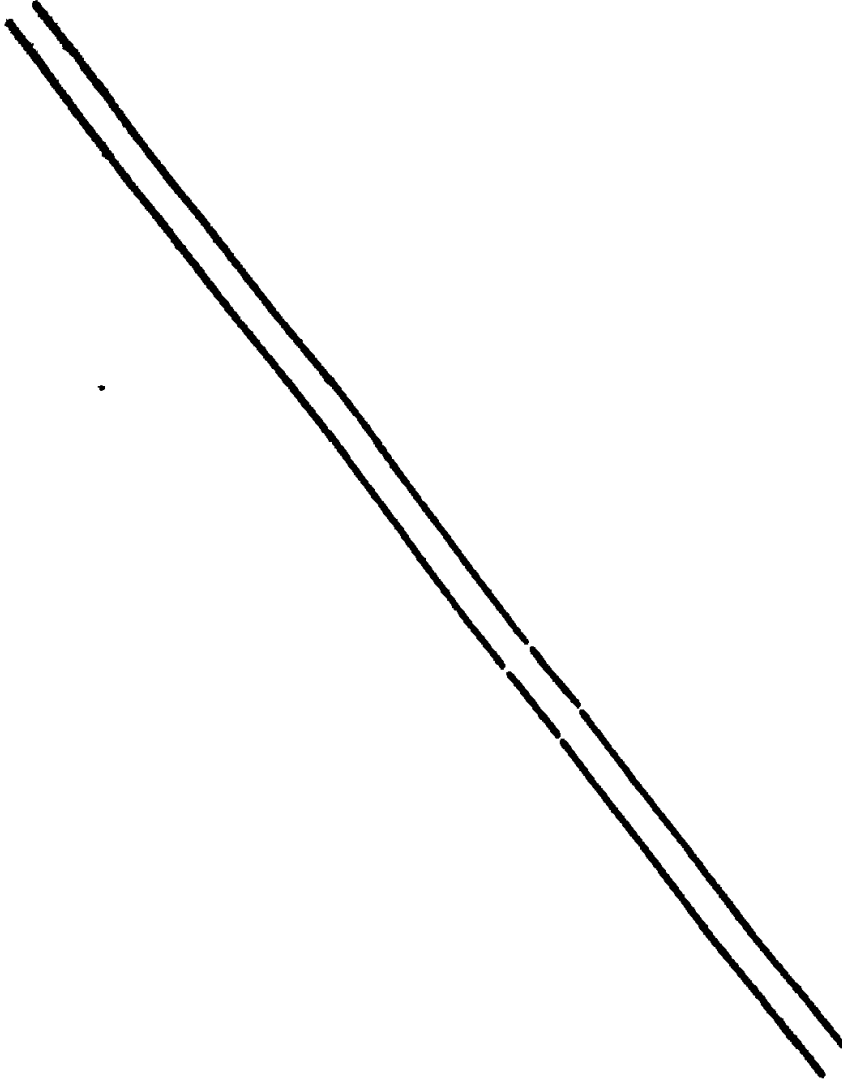
اشرفاً من قبل الى هذه الحقيقة ان المسلمين من الجنس العجمى عوملوا
فى عصر الدولة الاموية كرهايا الطبقة الثانية فاكدوا يستمتعون من الحقوق

الغلبة نفسها التي استمتع بها مواطنوهم من الجس العربي قاتنرت العباسية
فرصة الاكفاح بهذه الحال ولاجل ان يكتسوا معوة الرعايا كلهم وعدوا
المهور باقامة النصف الكاملة في المعاملات كلها اما في الحقول الاجتماعية
واما في الحقول السياسية. ومن هنا لقب بو العباس امسهم بحماة العدل
وبدوا الامويين بالجائرين القساء. والبيت المتقدم هراويه الشاعر بدعوى
العباسيين واعلن بالجهر ان عصر الامويين حتى مع حورهم كان اكثر توفيقا
من عصر هولاء العباسية

(للمقال بقية)

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية



المجلد التاسع عشر
العدد الثاني
نوفمبر ١٩٦٨

محتويات العدد

صفحة

٤٧ الدكتور حامد علام مصطفى
تعمير : الأستاذ أبو محمود
الكريم المصوي

٨ أبو عطاء السدي

↑
الموضوع

ابو عطاء السندی

(شاعر سندی متعرب في القرن الثامن للميلاد)

لدكتور حاتم غلام مصطفي

(٢)

ونفس هذا الرأي اظهره ابو عطاء بوصوح اكثر في قطعة اخرى
ومها ما يلي :

أليس الله يعلم ان قلبي يجب لي أمة ما استطاعا
وما بي ان يكونوا اهل عدل ولبكبي رأيت الأمر ضاعا

لاغرو ان اباعطاء كان من مشاهير شعراء عصره وكمانا تحقيقا
لمكانته البارزة ان نذكر ان تعرفه في الشعر قد اعترف به الاجلاء من
ادباء اللغة العربية الذين امتازوا بعلو مكانتهم في الادب - يقول الناقد
البصير عبد الملك بن قريب الاصمعي (ت ٨٢٨ ميلادية) : انه كان بليفا
مصقعا . وهذا ابن قتيبة الديوري (ت ٨٨٩ م) يقول وكان جيد الشعر ،
ويدي البكري (ت ١٠٩٣) رأيه فيه بما صه - وهو مع ذلك من احسن
الناس بديهة واشدم عارضة وتقدما - وقال ابن خلكان في مستهل الترجمة
لصاحبنا :

انه شاعر مشهور ، وبعد ان ذكر احبارا معينة عنه لاحظ بان شاعر مجيد ،
وبعض المقطعات النادرة من شعره توجد في كتاب الحماسة وبذلك انتهت

(١) ابن قتيبة ، كتاب الشعر والشعراء ص ٧٤٢ .

(٢) البكري والميني ، سخط الآلي ، ص ٦٠٢ ، القاهرة ١٩٣٦ .

لملاحظة التي قدمها مع بيان ولوعه لشعر ابي عطاء. وانه لولا مخافة التطويل والخروج عن الموضوع لاورد بعض المقطعات الرائعة له .
في اثناء هذه الايام التي عاش بها ابو عطاء كانت العراق تردهر طبعها بوجود عدد وفير للشعراء المقلقين والعلماء المريرين ولاندن اشير على سبيل المثال الى شاردين تردوه من رائدة الشيباني وانهما لم يعاصراه لحسب بل قصبا بعض الاحايين في بلاط الامير ابن هبيرة الذي اكتب انا عطاء باستدامة لهله طبعها صاحب ديك المحلين ، امثالهما وان لم يصل اليها بهذه المناسبة شي حدير بالذكر . ، كيمما كان فيبدو انه لقي من الأدباء المعاصرين له احتراماً وتوقيراً فائقين

يمكن أن نستدل بعض الايات الشاردة لابي عطاء وما يدور حولها من الاقاصيص على علاقة وثيقة بيه وبين حماد الراوية الشهير ثم بيه وبين ابي دلالة الشاعر المعروف

وذلك ان حمادا أوشك مرة ان يقع في احولة دبرها بعض حساده بانه حرش انا عطاء. على ان يهجو حماد الراوية وانما وقع في مجلس خاص حضراه مع غيرهما فبدأ حماد يهراً ناصحاً ويضحك على رطائته الى ان حمى عليه ابو عطاء. فلما ادرك حماد شدة عيظه حاف التبعة فاعتذر اليه على العور وطلب منه الصصح عما ندر منه

وبمناسة اخرى تشبه الاولى نالطع يقول الراوي للقصة ان اهل المجلس كلهم تقريبا كادوا يتفهقون صحكا منه بسبب لطخته المغلوطة ولذكهم

(١) حنا الفاحوري ، تاريخ الادب العربي ، ص ٣٧٠ لبنان ١٩٥١ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٦٩ (ترجمة مكحول) .

(٣) المرجع السابق ، ج ٤ ص ٢٣١ - ٢٤٠ .

مع ذلك كانوا خائفين منه حتى لم يتجرؤوا على ان يتضاحكوا وانما اطبقوا
الاسنانه بكل جهد .

ويروى فيما دار بينه وبين ابى دلامة انه ذات مرة مجا بغل ابى
دلامة فقال :

أبعل ابى دلامة مت هزلا عليه بالسخاء تعوليا
دواب الساس تقضم ملمخالى وابست مهانة لاتقضميا
سليه البيع واستعدى عليه فانك ان تباعى تسمينا

فلما بلع ذلك ابا دلامة خشى ان هذا الهجوم يتعشى سريعا فباع
البغل حالا وهجا بنفسه البغل بكلمة طويلة ولا بأس أن نورد بيتا منها
فيما يلي :

فقلت باربعين فقال احسن السى فان مثلك ذو سجال

هذا وبمما سبه اخرى رأينا انا عطاء يهجو انا دلامة هجاء مريرا
ولاندرى السبب لذلك غير انهما لم يكونا اد داك على اتصال ودى وانما
بقى من هذا الهجاء بيتان كما يلي :

الا ابلىغ هديت ابا دلامة فليس من الكرام ولاكرامة

اذا ليس العمامة كان قردا وخنزيرا اذا وضع العمامة

كان ابو دلامة بلا شك شاعرا معروفا وكان ايضا شهيرا لمجونه
وسلاطة لسانه وقوة عارضته وارتجاله الشعر ولكنه مع ذلك سكت عن
هذه الاهاجى التى قالها ابو عطاء واستسلم لها .

(١) البستاني ، دائرة المعارف ج ٤ ص ٢٩٢ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٧ .

هذه الاحاديث السائدة تريبا رأى العين بان ابا عطاء احتل مكانة سامقة بين اللواذعة المرزبين من معاصريه وهي ايضا تشير الى ان قصائده سارت بها الركبان وكانت مألوفة جدا لدى الجماهير أما سب هذا الشيوع والانتشار فلعل السائح يعثر عليه اذا تأمل في شعراء من الناحيتين المادية والمعوية .

مارال الشعر الجاهلي يتجدد مودحا أمثل بالعموم حتى في عصر الدولة الاموية والشعراء في العالم تنافسوا في الامتثال بهذا الشعر في كل من الاساليب والمعاني حتى اذا اتوا على الجملاء وأنابهم الامراء الذين عاشوا تماما بالعراق او الشام عيشة متحصرة للمدرحة القصوى ، اثبوا عليهم ناشياء تعد في خصائص الحياة الدوية كما لو انهم كانوا متمدحين لبعض شيوخ البدو ومن هنا لم يستطع الجمهور في مختلف المديرينات ان يتقدروا قيمة هاتيك المدائح بل انهم عجزوا ايضا بالكلية عن فهم معراها وذلك لما كانت غالبية الجماهير في شتى الحواضر والارياف عمارة عن غير الجيس العربي ثم ان العرب المحاورين لهذه العالبية أيضا كانوا متأثرين بدرحة عظيمة من الثقافة الاحيية السائدة

كيعما كان فان الاسلوب الذي اختاره ابو عطاء في الطم يبدو سادجا نقيًا للعانية وفي واقع الامر يبدو بساطة الاسلوب مع الانسجام من معالم شعره الرئيسية ولا عرو انه كان شاعر الجماهير كما انه استعمل اللغة المألوفة لدى العامة ومن هنا انتشرت مطوماته بسرعة فيما بينهم . وكان ابو عطاء نفسه عارفا بما أتيح له من قبول لدى الجمهور وعلى ذلك يقول في غضون مديحه لسليمان بن سليم :

فاعتمدني بالشكر يا ابن سليم في بلادى وسائر البلدان
ستوافيهم قصائد عر فيك سبابة لكل لسان

فعلا حظى ابو عطاء بموهوبة فطرية لقرض الشعر ومن هنا نظم ابياتا
ومقطعات بلا تحضير سالف وبهذا الخصوص توجد شواهد عديدة تدل
على انه استطاع بسهولة جدا ان يرتحل القوافي باية مناسبة وعلى اى بحر
من الموازين المتنوعة - وربما قدر على ان يكلم الناس بكلام مظلوم وعلى
الأرحح كان معروفا ليظم الشعر ارتحالا فقد طلموا منه فى بعض الاحيان
ان يرتحل نطما مقطوعا على بحر حدوده احتاراه له او لآى غرض آخر
ومثال ذلك ما ورد فى بعض الروايات ان ابراهيم بن الاشرارسل اليه
بالبيتين التاليين واقترح عليه ان يصم اليهما بيتين آخرين على هذا البحر
من عند نفسه وهما

ولمدة يردهى الحسان طارقمها قطعتها نكار اللحم معتاطه

وهما وقد حلق السراى او كرا وكالت الدلو بالجوزاء متاطه

ولاشك ان هذا البحر عسير جدا غير ان ابا عطاء نظم بتمتهى السهولة

بيتين آخرين يلتزمان تماما بالتوامين المتقدمين لا من جهة البحر والقافية

فقط بل ومن جهة المعنى ايضا فقال :

فاجاب عمها قميص الليل فانتكرت تسير كالفحل تحت الكور لطاطة

فى اديق كلما حث الحداة لها بدت ماسمها هوجاء حطاطة

هذا ولا يستدل احد بما تقدم يياه ان ابا عطاء اتى بشئ من اللهجات

المحلية او العامية المتبدلة المغلوطة نهائيا ولا يخفى انه استعمل فعلا لغة

بسيطة الجمال منسجمة هي في الوقت نفسه ساذجة وصریحة ولم يستغيب قط لغة مصطنعة وعبارة مكلفة او الاساليب التقليدية والتراكيب القديمة وكان فعلا قد شرب روح اللغة العربية فكاد لا يرتكب مخالفة للقواعد اللغوية :

هها يتمتع تقييد هذا الحارث انه بينما كان راويته يشد كلة له في مدح سليمان بن خالد اد اخطأ في البيت الآتي :

فما فضلت يمينك من يميني ولا فضلت شمالك من شمال

فانه تلفظ بكلمتي شمال ويمين مضمومتين فحلما في حالة المعاملة وكان ذلك لامحالة خطأ فاحشا فامتاح ابو عطاء عدند وقال له : « ويلك فامدته اذا امرته ، - يريد - « ويلك فامدحته اذا امرته ، ثم انه لقن الراوية هذا البيت على الوجه الصحيح الا انه اشد على الوجه الآتي :

فما ورات يمينك من يميني ولا فرات شمالك من شمال

هكذا افسد البيت تمامه افساد اللهجة والتلفظ السقيم وسبب المستمعين ان يصحكوا عليه ولكنه لم يستطع ان يصبر على غبطة نحوية . ومهما كان فان الماحث ربما يعثر على شئ من رلاته في استعمال بعض الكلمات وخاصة في البيت التالي :

دواب الساس تقضم ملغخالي وادت مهاسة لاتقضميها

مكلمة (دواب) جمع دابة مشددة الباء ولكن الوزن يقتضى التخفيف

كذلك حرف الون ساقط والاصل (من المحالي) وما يلزم الاتباء له

ككلمة (دواب) او ما جاء على وزنها ما لم يتبدل التخفيف بتشديدها

يستعمل في أى تفعيل عروضى لآى بحر من بحور الشعر العربي ما عدا

ابوطاه التنص

التعميل الاخير للشر الازل على البحر المتقارب - وبناء ذلك اضطر الشاعر ان يستعمل الكلمة في غير محلها الصحيح بنوع طفيف ويقارب ذلك ان الشاعر بخصوص كلمة (من المخالي) تكرر الى حد ما من المقررات النحوية محافظة على البحر ولعل ذلك يأتي في عداد المرخصات الشعرية ويوجد مثال ذلك في كلام آخرين كثيرين .

ولاشك ان اباعطاء اخطأ في البيت التالي :

أقام على الفرات يزيد حولا فقال الناس ايها الفرات

ودلك ان قافية البيت لاتفق مع احواتها الباقية تماما لان الروي فيها مكسور واما ههما فهو مصموم وهذا بلا ريب عيب من عيوب القوافي والعروض ، ويسمى الاقواء -

كيفما كان ولا يصح الاستدلال بمثل هذه الاخطاء القليلة على أن صاحبنا لم يكن متضلعا باللغة العربية .

اما طرائف معانيه في الشعر فلا يمكن لما بخصوصها ان نقول شيئا بالقطع لما انا نجد قسما قليلا جدا من شعره في تناول أيدينا على ان هذه البقية اليسيرة من شعره عبارة عن مقاطيع جميلة معينة ومختلف ابيات شاردة وهي تشتمل غالبا على صوف الشعر المتداولة كلها في عصر الشاعر أعنى المديح والهجاء والرثاء والغراميات والوصفيات وهلم جوا... ولكنها لا تكفي للدلالة على كفاءة الشاعر المطردة باعتبار تفكيره الشعري وكيفما كان فاننا نستطيع ان نستنبط من هذه المجموعة اليسيرة بعض النقاط البارزة .

قارلا وقبل كل شئ يجب الانباه الى ان الشاعر مع انه فيما يظهر يتمتع بالعموم نمدح تقليديه للشعر الجاهلي لا يكاد يحذو حذوها بالتدقيق والالتزام - فانه احبانا يحترق فيحلع رنقة الاتقياد للقديم ويعرفنا بالأممات الجدد . الآراء المدكرة ثم انه يستمد الهيئة الاجتماعية التي مارسها والشئون السائدة حواليه في اتحاد الاشباح الفكرية - واعله كان رجلا عمليا . لذلك احب أن يصف الحقائق المحسوسة للحياة ومشاهدات هنية المليئة بالحياة . لعل ذلك سبب آخ اشهرته لدى الجماهير ومثال ذلك انه يقول يهجو العاصية الهاشميين

بني هاشم عودوا الى حلاتكم فقد قام سعر التمر صاع بدرهم

ويحو ذلك صادف مرد ان يريد ان عمرو بن هيرة امير العراق فرق على الناس دنانير صحمة وهو مديوم تقرب صفا الفرات الا انه لم يصح اذ اعطاه دقيير ولا عطاءير ومطم ابو عطاء بعد ذلك كلمة تحتوي على ما يلي :

اقام على الفرات يريد حولا فقال الناس ايها الفرات

فيا تحما لحررات يسقر جميع الحلاق لم يملل لهاتي

بعد ذلك قال له يريد : كم يمل لهائك يا انا عطاء ؟ قال : عشرة

آلاف درهم . فامر يريد انه ان يرس لاني عطاء هذا المبلع الخطير .

ان القطعة الآتية تشهد له بالوصوح بقوة الاداع في التفكير ولا

غرو ان هذا الشاعر اتسم حلقة فيما يبدو عقلية اداعية ومن هنا كان

يجب بالطبع افكارا حددا وآراء اصلية حتى انه عندما اقتنى اثرا قديما

لم يقلد القدماء تقليد الاعمى ولكنه حاول على الدوام ان يحدث شيئا من

ابوعطاء السدي

التصرفات ويأتي شئ جديد في ضمن ذلك ؛ واتفق ذات مرة في غضون
المحادثة ان حماد الراوية انشده البيت الآتي :

اذا كنت في حاجة مرسلا فارسل حكيمًا ولا توصه

يبدو هذا البيت حسا جدا ولذلك بالعموم يمثلون به وليكن بالنظر
الى الحقيقة ليس هذا المعنى الذي تضمنه البيت شيئا معمولا به على الدوام
اد ليس بوسع احد مهما امتار عقلا ومهما ان يحيط بكل شئ علما ويدعى
بذلك كادت هذه الحكمة لا تنملاص من عقلية انى عطاء الاجرائية لذلك
ما ان سمع صاحبا هذا البيت الا ورد على صاحبه قائلا . ما أسوأ هذا
القول ! فقال له حماد : وكيف كنت تقول ، فمالك احابه ابو عطاء : اننى
نقلت هكذا وأنشده ما يأتي على البديهة :

اذا ارسلت في امر رولا فافهمه وارسله اديبا

وان صيغت داك ولاتله على ان لم يكن علم الغيوب

في ضوء التحليل الآنف الذكر اعلمى لا آكون محطنا اذا قلت ان
صاحبنا ابا عطاء حقيق بان يكون معدودا في طليعة المعرفين ببعض التصرفات
القطعية في النموذج القديم للشعر العربي . وسيجد القارئ في هذه المجموعة
الضئيلة من شعره ابياتا رائعة يقع عليها الاحتيار وبعض المقطعات تحتوى
ابياتا تظهر في الواقع كاقوال مليئة بالحكمة . وانما يعجنى جدا ان احتم هذا
المقال بالقطعة الرائعة التالية أوردها صاحب الاعلى في ضمن الاصوات
الشيخة لابراهيم الموصلى (٧٤٦-٨٠٤ م) أحد مشاهير المغنين العرب على انه
من صغار اقران ابي عطاء ايضا وهى :

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكى الفقرا ولام الصديق فأكثرا

كلمة السيد - ابريل ١٩٦٨

وصار على الادين كلا واوشكت صلات دوى القربى له ان تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى عشر دا يسار او تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تم وكيف يام الليل من كان معسرا
وما يهدرك الحاجات من حيث تنسى من الناس الامس اجد وشمرا

(مع الشكر لمجلة الثقافة الاسلامية (Islamic Culture) الصادرة
من حيدرآباد، دكر يناير ١٩٦٦ - ١٠)

تعرّف: : الاسود ابو محمود الكريم المصومى